نظرة المسيحية لدور الإنسان في التاريخ "القديس أغسطين نموذجا"

د/دحو فغرور
معهد التاريخ - جامعة وهران

مقدمة:

إن الانسان منذ أن وّجد على وجه هذه المعمورة، وهو في تفاعل مستمر مع محيطه الفيزيائي عن طريق أما التكيف (ADAPTATION) او الاصطدام (CONFRONTATION) الى ما شابه ذلك من ردود الأفعال المختلفة الاخرى.

في الوقت نفسه وزيادة على محاولة فهم العالم الخارجي-سعى الانسان الى فهم نفسه بطرح اسئلة اساسية، بدأت في شكل بسيط وازدادت تعقيدا مع مرور الزمن. ومما لاشك فيه، أن من جملة الاسئلة الاولى التي تبادرت على ذهن الانسان، ما يتعلق منها بوجوده أصلا أب : من هو؟ وماذا يفعل في هذا الكون؟ وما علاقته بما يحيط به من نبات وجماد وحيوان. فالتاريخ بدأ بزوجين ولكن لم يمض زمن حتى اصبح الزوجان قبائل وشعوب وامما متعددة الألوان والاجناس والافكار والحضارات...

وحسب ما وصا إليه الانسان من أجوبة، إنطلاقا من مسيرته وتجربته -بدأ يصيغ نسقا فلسفية حاول من خلالها اعطاء مدلول لوجوده، وعليه ظهرت فلسفات ودايانات وضعية رسمت للانسان معلم وميادين نشاطه، وأوكلت اليه أدوارا ألزمته القيام بها، وسلبته خيارات منعته منها.

فكانت فلسفات الشرق القديم التي جاء بها حكماء أمثال كنفوشيوس (551-479ق م)، وبوذا (563-483ق م)، وغيرهم، وكذا فلسفات العالم الهيني -الروماني والتي حملها رواد فكر أمثال سقراط (470-399ق م) وارسطو (348-322 ق م) وافلاطون (427-347ق م) وابيقور 342-270ق م) وهيرودوت

(القرن الخامس ق م) وفارو(116-27ق م) وساللوستيوس(86-34 ق م)، وتاسيت(55-117م) وغيرهم.

مع ذلك، ورغم عمقها في البحث والتأمل لم تتمكن جل الفلسفات القديمة من خلق نموذج انساني مميز يمكنه ان يرفع التحدي وبدخل التاريخ كعنصر اساسي وفعال بالعكس، ان غالبية هذه الفلسفات سادها الاعتقاد ان هناك نواميس خارجة عن ارادة البشر هي التي تسير التاريخ، والاكثر من ذلك، ان الاساطير اليونانية والرومانية تعج بأمثال عن تدخل الالهة باستمرار في حياة وشؤون البشر اليومية. (1)

فالآلهة تحب وتكره، تعز وتذل، تغار وتغضب، تنتقم وتنصر، فهي تتصارع مع البشر وفي هذا الصراع، أو ذاك، توظف الانسان وتجعله طرفا مكرها في مشاكلها، تتقاذفه أمواج النزوات المتعارضة لآلهة متجبرة.

وفي هذه الدوامة اللامتناهية، قد يفلت الانسان البطل من قبضة الارادة الالهية ويتحدى قوتها الباطشة، إلا أن ذلك التحدي غالبا ما ينتهي بمأساة. مثلما كان الحال بالنسبة لبيروميتي الذي حاول سرقة النار فعذب بحمل صخرة من اسفل الى اعلى الجبل الى الازل.

مع ذلك وبالرغم من هذا الفهم البسيط والمحدود لحركية التاريخ، فإن العالم القديم تمكن من تقديم اول تفسير مقنع لدور الانسان في تلك الحركية. فبالموازاة مع الرؤية القائلة بتدخل الالهة في صنع التاريخ وتوجيهه راجت رؤية أخرى هي الرؤية الدورية للتاريخ والتي تعتبر بحق أول تفسير تاريخي مؤسس خارج عالم الميتافيزيقا وهي من هذا الجانب تعتبر اسمى تفسير وصل إليه فكر الرجل القديم. (2)

لقد عرفت النظرية الدورية رواجا معتبرا. ففي الثقافة الغربية هيمنت هذه النظرة منذ أيام هيرودوت (484-425ق م) الى حوالي ميلاد المسيح عليه السلام، ففي نظر التفسير الدوري للتاريخ إن كل الأحداث البشرية تحدث في

دوائر وبامكان الاسماء والتواريخ أن تتغير ولكن مع الزمن، فما حدث في الماضي -ولنفس الاسباب سيحدث في الحاضر ويتجدد حدوثه في المستقبل وهذا ينطبق على الدول وكذلك على الأطوار.

لقد انتشرت النظرية الدورية في العالم القديم عندما لم يكن في صورة الإنسان معرفة جيدة وكاملة عن الكون أو عن الدور المنوط به. ففي ذلك الوقت كل شيء -بإستثناء الحاضر القريب- كان منعدم الاهمية، فمنظر العالم القديم قاموا بأول خطوة لتعليل سبب وجود الكائن البشري ودوره ولو أن ذلك الدور من منظور النظرية لم يتعدد دور الجزء من الكل، أو بالأحرى دور الجزء الذائب في الكل.

وبعد ميلاد المسيح وتبني العالم الغربي رسالته، احس مسيحيو اوربا بتعارض النظرية الدورية بمعتقداتهم الدينية، حيث انه لا يمكنهم الايمان بالمعجزة المرتبطة بميلاد المسيح وفي نفس الوقت الاستمرار في تبني النظرية الدورية فالقول بأن مجيء المسيح هو حدث خارق للعادة، ينفي بالضرورة احتمال تكراره كل 200 أو 400 سنة. لأن إذا تكرر ذلك الحدث، سيصبح شيئا عاديا وبالتالي سيفقد من أهميته وهيبته وحتى قدسيته.

إذن، لقد ظل الانسان مدة من الزمن وهو يعتقد ان التاريخ البشري يسير في حلقات متتابعة في نظام دوري يتجدد على فترات متعاقبة ومن هنا ساد الاعتقاد بأن التاريخ يعيد نفسه أو مثلما تقول العبارة الفرنسية " Plus ça change plus c'est la même chose "

إلا أن مع ميلاد المسيح، وما ارتبط به ذلك الميلاد من إعجاز لا من حيث الفعل نفسه بل وكذلك من حيث الحدث، وكون أن المعجزة ظاهرة لا تتكرر، فترتب عن كل ذلك ان النظرية الدورية أصبحت عاجزة عن تفسير هذا الحدث، فزصبح لزاما أن يتيه الفكر الانساني -وخاصة في العالم الغربي المسيحي- الى خلق وابتكار نسق فلسفي آخر يمكنه من تفسير هذه الظاهرة، اولا وتحديد دور الانسان ورسالة المستقبلية ثانيا.

فجاءت نظرية القضاء والقدر والتي سيكون لها انعكاسات خطيرة على العالم المسيحي. حيث انها سوف تزج بذلك العالم في متاهات اصبح ينتقل فيها من اتكال الى تراجع الى تقوقع الى أن أدخلته في ظلمات الوسطى وما رافق ذلك من تغييب للفكر، واستفحال امر مؤسسة الكنسية التي وصل نكرانها للغير وهيمنتها على العالمين الروحي والدنيوي الى تأسيس تلك المؤسسة الرهيبة المتمثلة في محاكم التفتيش والتي حصدت حشودا ممن اعتبرتهم الكنيسة مارقين عن رؤاها.

وبناءا على هذا كله، وقع اختيارنا على هذا الموضوع والذي سنحاول من خلاله تبيان نظرة المسيحية عامة والقديس اغسطين على وجه التحديد لدور الانسان في التاريخ. وهي النظرة التي اوردها القديس اغسطين في كتاباته العديد والتي بلورها بشكل واضح وكامل في مؤلفه الشهير "مدينة الإله" "De Curtate Dei".

القديس أغسطين

ولد القديس اغطسين في تاغست THAGASTS أو TAGASTE في 13 نوفمبر 354م (3) وهي قرية تقع في شرق الجزائر وتسمى اليوم سوق اهراس. وتقع تاغست على بعد حوالي 100كلم من مدينة هبونة HIPPONE الشهيرة -عنابة حاليا- ومن هنا تلقيبه باغسطين دي هبو AGOSTINO DE HIPPO. وتوفي سنة 430 بعد حياة حافلة بالمنعطفات والتحولات والبحث عن الذات.

لقد كان أبوه بتريسيوس PATRICIUS وثنيا (4) متوسط الحال يملك بعض الاراضي، أما طبعه فكان عنيفا مع ابنائه وعنيفا مع زوجته التي عانت الكثير من طبعه الخشن وسوء معاملته لها وخياناته المتكررة. أما أم اغسطين مونيكا،(5) فكانت عكس زوجها تماما. لقد كانت رقيقة، لطيفة، حنونة. كما كانت مؤمنة تدين بالمسيحية. تمارس شعائرها باخلاص وتحرص على تربية أولادها على الإستقامة وفق تعاليم دينها.

تتلمذ اغطسطين في مادورا MADAURE، [6] ثم انتقل الى قرطاجة حيث يقضي فترة في الترف والمجون ويتعرف على افكار المانويه (نسبة الى زعيمها مانس MANES). [7] فحزنت مونيكا لذلك واغتاضت وطردته من مائدتها بل وحتى من بيتها، اصطلح أغسطين مع والدته ثم قرر الرحيل إلى روما دون علمها. وهناك يلتحق بالاكاديميين Les Academiciens.

وهكذا يواصل أغسطين المشوار بحثا عن الذات ولو على حساب حب ورغبة والدته الى أن يقرر الرجوع الى المسيحية سنة 386 حيث كان عمره، انذاك 32 سنة، وكان ذلك في مدينة ميلان. حيث عمد على يد القديس امبرواز AMBROISE وبعد التعميد، يرجع أغسطين إلى تاغست إلى أن يتم تعينه كاهنا في عنابة، ويبقى هناك يمارس التدريس ويقوم بشؤون الاتباع يجيب عن اسئلتهم بل وحتى على اسئلة عصره وأكثرها. وهو في ذلك كله يزداد شهرة يوما بعد يوم، ويذيع صوته وينال احترام الجميع، ويرتقي في السلم الكنسي فيصبح أسقفا، ويظل على هذه الحال إلى غاية وفاته سنة 430.

مكانة القديس اغسطين في المنظومة المسيحية:

إن تعرضنا الى حياة القديس اغسطين كان أمرا محتما لأنه لا يمكننا أن ندرك مكانته في المنظومة المسيحية الا اذا سلطنا الضوء على مسيرة حياته، [8] واحطنا بكل الصراعات الفكرية والعقائدية وكذا التحولات السياسية الكبرى التي عاصرها والتي سيكون لها الاثر البليغ في بلورة فكره، ونضجه بل وتألقه الى ان فاقت شهرته شهرة كل معاصريه خلال العصور الوسطى، واضحت سلطته الفكرية لا تضاهيها سوى سلطة ارسطو بل واصبح الفكر الاغسطيني يعتبر المرجعية الاساسية لكل العقيدة الوسيطية، وبلغ الأمر درجة الخطورة حيث اصبحت نصوصه تستعمل في غير مواضعها كسند لتيارات فكرية وعقائدية متضاربة.

لقد جرب اغسطين كا ما كان بإمكانه أن يجري، لقد عرف حياة المجون

والمفاسد، وعاش حياة زوجية غير شرعية وانجب في ذلك الإطار ابنا سماه ديودات إلا أنه لم يغمر طويلا، واختلف مع أمه وخالف رأيها مرات عديدة.

واعتنق في شبابه مذاهب متعارضة مع عقيدتها. لقد اعتنق المانوية ودافع عن رؤاها، الا أنه وبالرغم من ابتعاده في شبابه عن تربية والدته، يظهر وكأن حبلا سريا كان يجذبه نحو تلك التربية وما تضمنته من مثل عليا واستقامة في السلوك فكان لا يبتعد عن الطريق الصحيح حتى يعود اليه ويطلب عفو تلك الوالدة التي كان لها اثرا كبيرا على مسيرته والتي وإن خالفها وعصى أمرها مرارا وتكرارا، فإنه كان يكن لها حبا يفرق كل محبة واحتراما يتعدى كل احترام. وهذا ما يظهر جليا في جل كتاباته وخاصة في الاعترافات " CONFESSIONS " والتي تضمنت صفحات عديدة لذلك الحب المتبادل وتلك الدموع التي كانت الأم تذرفها من اجل خلاص ابنها. (9)

واستجيب لدعوة الام، وكان الخلاص، وعمد اغسطين، وانساق قلبا وقالبا في الحياة الكهنونية، فلم يلبث ان تألق فيها خطيبا وداعيا ومنظرا، وأهله لذلك تكوينه ودراساته التي اشتملت على اللغة اليونانية، والثقافة الكلاسيكية. لقد تبحر في علوم اليونان وثقافتهم ونهل من روادها وروافدها. كما غرف من كنوز الكلاسيكيين، فاطلع على ارسطو، وافلاطون وفي الخطابة عندهم خدمة للمسيحية وتدعيما لحججها، وهي كلها أمور تظهر جليا في كتاباته العديدة المتعددة، مثل الرسائل Les lettres ، والمواعظ Les sermons، والاعترافات Les confessions والرد على الاكاديميين Contra Academicos والرد على المانويين والذي تضمنته كتب عديدة "في سفر التكوين ردا على المانويين" و"أخلاق الكنيسة الكاثولكية واخلاق المانويين" و"حول الحرية المطلقة" و"الرد على ادمنث، تلميذ ماينس"...

كما اهتم اغسطين بالعقيدة المسيحية ورسم حدودها ومضامينها في كتابه الشهير "في الثالوث" "De Triuitate" وكذا كتاب "العقيدة المسيحية" "Doctrina christina" ... وفي اخر حياته ترك أثارا أخرى ضمنتها مؤلفات

عديدة نكتفي بالاشارة اليأاهمها : كتاب "المناجاة" " Soliloques " وكتاب "الاستدراكات" "ReTractions" وفيه قام القديس اغسطين بتصحيح بعض المفاهيم التي وردت في كتبه السابقة والتي سيء فهمها أوالتي عدل عنها.

فيلسوف التاريخ :

لا يسعنا في هذا المجال إلا الإيمان بالمقولة الفيبيرية [10] حول الفرد ،الدور التاريخي، وإلا كيف تفسر أن في الوقت الذي تصدع فيه الجدار المسيحي وأنهار سقف الهيكل، تتألق هذه الشخصية وتخرج عن الصمت المخيم أو بالأحرى تخرج عن الفوضى العارمة، والردة المستفحلة، وتعيد الأمور الى نصابها، وتبدد الشكوك، وتمسح دموع الحصرة عن النفوس القانطة، وترجع الرجاء الى من غادرهم الأمل.

ذلك هو الدور الذي قام به القديس أغسطين في السنوات التي تلت هجمة البرابرة على روما وهو الدور الذي سوف يقوم به إلى غاية نهاية حياته. وهو الدور الذي خلده في أهم انتاج فكري اكسبه شهرة عالمية لم تنطفء الى يومنا، الا وهو كتاب "مدينة الله" "De civitate Dei".

إن هجمة البرابرة بقيادة ألاريك ALARIC على روما سنة 410 أيقظ في نفس العالم المسيحي عامة وسكان روما خاصة مشاعر ظلت دفينة مدة من الزمن وصعدت الى السطح بمجرد أن ابتليت المدينة ببلاء الخراب والتدمير على يد الاريك واتباعه لقد ايقظ تحطيم روما صرخة طالما ألفها المجتمع المسيحي الأول والتي تمثلت في "أرموا بالمسيحيين الى الاسود" وطرحت من جديد مسألة جوهرية لاتنفرد بها المسيحية وحدها بل تشاطرها نفس الاهتمام كل الديانات السماوية الاخرى، وهي علاقة المصائب بالايمان، أو بكلمة أخرى هل يعتبر البلاء علامة على فساد القوم أو أنه امتحان يشترك فيه المؤمن والمارق على حد سواء ولكن الأسباب ومرامي مختلفة.

لقد انكب اغسطين على دراسة هذه المسألة وتشعباتها مدة من الزمن، فاستغرق انجاز "مدينة الله" الفترة الممتدة من 412-413) الى 426. وخلص فيه بعد استقراء رائع للماضي -إلى نتائج تعتبر جوهر الفكر الاغسطيني الخاص بدور الفرد في التاريخ. لقد أدرك أغسطين أن خراب روما على يد الاريك لم يكن أول خراب تتعرض له المدينة خلال التاريخ. لقد عرفت روما الحرق على يد نيرو NERON، وكذا على يد الغاليين وهو أمر يجعل ما حل بها مؤخرا أمرا طبيعيا لا علاقة له بآلهة الوثنيين وانتقامها. بل هو أساس أمور الحرب.

«ان التخريب، والتقتيل والنهب، والحرق، والدمار، كل هذه المصائب التي حدثت خلال نكبة روما الاخيرة تندرج ضمن تقاليد الحرب». (11)

أي بالمنظور الاغسطيني ليس هناك علاقة سببية بين أعمال البشر والمشيئة الإلهية، بل ليس هناك علاقة بين المدينة الدنيوية ومدينة الله الرمزية او بكلمة اخرى لا علاقة بين المدينة الارضية والمدينة الالهية.

فمن «المدينة الارضية يخرج الأعداء الذين يجب حماية مدينة الله منهم»، (12) الا أن وجود الأشرار لا ينفي استمرار الخير. «مع ذلك فإن الله في صبره يدعو الأشرار الى التوبة، وعلى نفس الوتيرة التي تحث بها العصى الربانية الطيبين على الصبر، فإن الرحمة الإلهية تعانق الأخيار لمواساتهم، كما أن الصرامة الربانية تأخذ بالاشرار لتأديبهم». (13)

ولكن هل معنى ذلك ان التدخل الرباني في تربية البشر هو تدخل مستمر؟

«غالبا ما يحصل، ان في هذا الاجراء يقوم الله بإظهار تدخله. فلو ان كل مخالفة تبعها عقاب ظاهر، سوف يسود الاعتقاد أن ما ثمة من شيء ترك الى يوم الحساب في المقابل، لو أن الله امتنع عن معاقبة المذنبين، سوف يسود الاعتقاد ان ما هناك إرادة إلهية». (14)

هذا على مستوى الأفراد وعلاقتهم بخالقهم. ولكن ماذا عن الامم وملك الانسان؟ في هذا الصدد، وبعد استعراض دقيق وشاعري لتدخل العناية الالهية في أدق وأبسط أمور المخلوقات، يخلص أغسطين الى نتائج تعتبر اساس نظرية القضاء والقدر والتي سوف يبلورها في مواضيع أخرى. فيقول : وعليه فهذا الاله الحقيقي، بكلمته، والروح القدس -ثلاثة في واحد- هذا الاله الواحد الجبار، الخالق وصاحب كل روح وكل جسد [...] الذي منح الروح للطيبين والأشرار ومنح السكون للحجارة والنبات، ومنح العاطفة للحيوانات، ومنح الذكاء للملائكة وحدهم. هو الذي منه ينبع كل قانون، وكل شكل، وكل نظام، وكل مقياس، وكل عدد، وكل ميزان. هو مصدر كل ما وجد طبيعيا مهما كان نوعه وثمنه. هو مصدر بذرة الاشكال. وشكل البذور ومصدر حركة البذور والاشكال. هو الذي اعطى الى الجسد اصله وجماله وصحته، واعطاه الخصوبة في تكاثره، ورتب اعضائه [...] وهو الذي أعطى الى الروح العاقلة الفكر والذكاء والارادة. وهو الذي لم يهمل لا السماء ولا أرض ولا الملائكة ولا الانسان بل لم يهمل حتى الاعضاء الباطنية لأضعف الحيوانات وأحقرها، لم يهمل لا الريشة ولا الطير ولا زهرة الحقول ولا ورقة الاشجار [...] هذا الإله بالذات، أيعقل أن يقبل بأن يبقى ملك الانسان وهيمنته وخضوعه خارج قوانين العناية الإلهية؟. (15)

بالطبع لا وتأتي الإجابة واضحة لا غبار عليها.

إن الإله الحقيقي هو الذي يمنح الملك الارضي لمن يشاء والأسباب عادلة ولكن لا نعلمها. (16)

وهنا كذلك لا علاقة بأعمال البشر وسيرتهم والإرادة الإلهية في تمكين البعض دون الأخرين في الملك الارضي، حيث يقول القديس أغسطين :

في ظل هذه الظروف، علينا ألا نقر قدرة منح الملك والامبراطوريات سوى لله الحقيقي الذي يخص الطيبين فقط بسعادة السماء ولكنه يمنح الملك الارضي الى الأخيار والأشرار حسب مشيئته-ولا يقبل الظلم. (17)

خلاصة واستنتاجات

لقد انطلق القديس أغسطين من مسألة ظرفية تمثلت في دحض أراء أولئك الذين في سرعهم أرجعوا ما حل بروما من مصائب الى انتقام آلهة الوثنيين، ثم تجاوز هذه الاشكالية ووضع تصورا أشمل تضمن عدة منازل مثل علاقة الفرد بالله، وعلاقة الملك بالعناية الإلهية ومكانة المسيحية أو بالأحرى مكانة الكنيسة في كل ذلك.

فبالنسبة للقديس اغسطين أنّا تاريخ البشرية لا يعدو أن يكون مسرحية ألفها الله ويمثلها الانسان. فالعالم يتكون من مدينتين رمزيتين : مدينة الله وهي مدينة الخير ومدينة الأرض وهي مدينة الشر. وبينما يتزعم الله المدينة الاولى، يسود الشيطان في المدينة الثانية. فالتاريخ البشري يتمثل في تسجيل الصراع بين هتين القوتين المتصارعتين، ومصير الصراع سوف يقرر اما الخلاص الابدي واما اللعنة الازلية على الجنس البشري بكامله.

أما دور البشر -في منظور هذه النظرة- فإنه ينحصر في دور الغنيمة في اطار لعبة خطيرة بطبيعة الحال البشر معنيون بنتيجة الصراع الا أنهم لا يقدرون على أحداث أي تغيير في تلك النتيجة فأمنية البشر تميل الى انتصار قوات الخير. لأن ذلك من شأنه ان ينعكس في السعادة الابدية. ولذا فهم يقابلون ذلك بعيش حياة استقامة وفعل الخير وذلك لاظهار تفضيلهم لاحد المتصارعين. ولكن عالم البشر هو عالم وميدان معركة أزلية، وهنا كذلك، قوة غير قوتهم وارادة غير ارادتهم هي التي تقوم برسم المصير البشري.

في المنظور الاغسطيني، ا، ان التاريخ البشري له هدف واضح يتمثل في الخلاص الأبدي. ومع ان هذا الهدف لا تظهر حتميته في كل الاحيان -لأن الانتصارات والنكسات متقاسمة بين قوات الخير والشر-ففي الاعتقاد الاغسطيني، ان الله سيفوز في المعركة النهائية، وبالتالي سيباشر بمكافأة اولئك الذين لم يفقدوا الامل في قوته وقدراته.

إن القديس اغسطين لم يول اهتماما كبيرا للجانب المادي، فلم يحض اي شيء مادي على وجه هذه الارض على نوع من الاعتبار الخاص به. فالأرض ما هي الا قاعة انتظار نحو عالم ابدي. وهكذا طغت الروحيات على الماديات وطغى

ملك السماء ممثلا في الكنيسة على ملك الارض ممثلا في الدولة. وساد الاعتقاد الاغسطيني القائل بأن "الله السيد هو الذي ينظم مصير الامبراطوريات، وبما أن الخطيئة مرجعها الانسان وان الكنيسة لا تخطئ، اصبح الايمان يعني عدم الشك ابدا، وتقبل الاشياء كما تأتي بدون تحفظ بل واصبح الجهل فضيلة، وهكذا خيم الظلام الوسيطي على اوربا ولم تفتح منه الا بعد 1200سنة اي الى غاية النهضة الاوربية.

الهوامش والمصادر والمراجع

1 - امثلة اخرى عن تلك الاساطير، ما اورده هميروس في قصصه الشهيرة الالياذة والاديسا.
2 -للمزيد من المعلومات حول النظرية الدورية، راجع :
Grace Cairons.philisiphies of History,(New York:Philisophical Library, Inc, 1962.
3-Saint Augustin,la Cité de Dieu,tiad.P.de Labriolle.T1&2 (Paris:ed.Garnier Freres.1957)
4 - يعتنق بتربسيوس فيما بعد المسيحية ويتخلى عن الوثنية.
5 - القديسة مونيكا فيما بعد.
6 - مدينة كانت تقع على بعد 25 كلم من تاغست. وحول المجتمع والبيئة التي تنشأ فيها القديس اغسطين ارجع الى
F.de Beauregard, au pays de saint Augustin, (Lyon:E. Vitte. 1898).
7 - مانس Manes زعيم فرقة دينية ظهرت في فارس في القرن الثالث ميلادي وتقوم على الثنائية. للمزيد من المعلومات حول المانوية راجع
Arnold J.Toynbee, A Study of History Viol V. London: 1956. PP. 575-580
8 -ترجمة حياة القديس اغسطين يمكن الحصول عليها في
Louis Bertrand, Saint Augustin, (Paris: Fayard 1927)
9- . 1944) Saint Augustin, Confessions, Livres I VIII. (Paris: les Belles lettres
10 -ماكس فيبر Max Weber 1864-1930، عالم اجتماع الماني له نظرية حول الشخصية القيادية Charismatic leadership.
11 - La Cite de Dieu T.1 ص21.
12 -نفس المرجع ص5.
13 -نفس المرجع ص23.
14 -نفس المرجع ص25.
15 -نفس المرجع ص473-475.
16 -نفس المرجع ص521.
17 -نفس المرجع نفس الصفحة.

وكان الإنسان أكثر شيء جدلا..

د/ سالم علوي
معهد اللغة والأدب العربي
- جامعة الجزائر -

مدخل

بنية الإنسان:

هو الإنسان علمه الله ما لم يعلم، وآتاه من كل شيء بمعلمٍ، وهيأه لتحمّل الأمانة والرسالة التي عرضت على السماوات والأرضين والجبال، فعجزْن عن تحمّلها وتحمّلها هذا الكائن الذي اختاره الله أن يكون خليفة له في الأرض، فقال عز من قائل للملائكة: «**إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال: إني أعلم مالا تعلمون**». [البقرة:29]

ومن هنا أمر الربّ سبحانه وتعالى العباد بأداء الأمانة على أحسن وجه وأكمل حال، فقال عزّ من قائل: «**إن الله يأمركم أن تؤذوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا**». [النساء:57]

ومن منّ اللهّ على الإنسان أن علّمه البيان، وجعل هذا الأمر قرآنا وجعله في أول التنزيل ومفتتح الكتاب، فقال لنبيه - عليه الصلاة والسلام - في أول سورة نزلت «**اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علقٍ، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم**». [العلق: 1، 2، 3، 4، 5]

إذ «الدلالة الظاهرة على المعنى الخفيّ هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه، ويحث عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف اللعجم». (1)